مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد ٤ – عدد ٢ (٢٠٢٤): ٨٥-١٠٩

Damascus University Journal of arts and humanities sciences Vol 4-No.2 (2024):85-109

دراسة مقارنة بين محمد عبد الرحمن بن خلدون وماكس فيبر

أ.م. د. يحيى سليمان قسام[١]

١- أستاذ مساعد دكتور، قسم متطلبات الجامعة، الجامعة العربية الدولية.

الملخص:

سعى البحث إلى المقارنة بين المفكر العربي محمد عبد الرحمن بن خلدون، الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، وكتب مقدمته في العمران البشري التي تعدّ سبقاً فكرياً في كثيرٍ من المجالات، وخاصةً علم الاجتماع، وبين المفكر الألماني ماكس فيبر، الذي ولد في القرن التاسع عشر، وتوفي في القرن العشرين، وقدم إسهاماً مميزاً في علم الاجتماع، في صياغته لتعريف السوسيولوجيا بأنها علم الاجتماع القائم على الفهم. وتجلت صعوبة البحث في الإحاطة بالأفكار التي تناولها كلٌ منهما، لتنوع مجالات الكتابة والإبداع التي طرقاها، ولتميّزهما بثقافة موسوعية شاملة، ولخوضهما في أكثر من مجال من مجالات العلوم والمعرفة، ولذلك تمّ تركيز المقارنة بين مسائل محددة، تناولت: المولد والنشأة، الثقافة، المؤلفات، كسب الرزق عند ابن خلدون، الفعل الاجتماعي القائم على الفهم عند ماكس فيبر. كما تطرق البحث إلى أثر البيئة الجغرافية والاجتماعية من جهة، وإلى أثر التباين الزمني بين كلٍ من المفكرين من جهةٍ ثانية، وإلى المفردات اللغوية التي استخدمها كل منهما من جهةٍ ثالثة، ومدى ملاءمتها لمعالجة وتوضيح الأفكار المطروحة. ولقد دُرِست أفكار كلٍ من ابن خلدون، وماكس فيبر بشكل مستقل، وأُلفت حولها الكتب، وقدمت حولها الأبحاث وأعدت الرسائل، لكن الدراسات المقارنة بينهما كانت نادرةً إن لم تكن معدومة، ولذلك فإنّ هذا البحث يأخذ أهميته من أهمية كل منهما من جهة، وأهمية ما قدماه من جهةٍ ثانية، ولكونه متفرداً في المقارنة بينهما من جهةٍ ثالثة. وتمّ التوثيق وفق طريقتين، الأولى طريقة (هارفارد) في المتن، والثانية أسفل الصفحة بالنسبة للدراسات المأخوذة من المواقع الالكترونية.

حاول البحث الإجابة عن التساؤلات التي وردت في الإشكالية، منها: مدى تأثر كل منهما بثقافة مجتمعه، وتأثيره فيها؟ ومدى تأثير كل منها في تطور الفكر الاجتماعي؟

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي مكّن من استخدام طريقة المقارنة بين مفكرين متباعدين في الزمن، وقدما رؤيتيهما في مجالات متعددة، وكلها تخصّ المجتمعات، وصاغا لعلم الاجتماع مفاهيم ارتبطت باسميهما، لكن بأسلوبين وبصياغتين مختلفتين. لقد تمّ تتبع بعض هذه المفاهيم الأمر الذي مكّن صياغة النتائج، ومنها: أهمية الحرية في تطور الفكر الاجتماعي- دور التقانة (المطابع) في نشر الأفكار وتطويرها. دور الفعل القائم على الفهم في تطوير العلاقات الاجتماعية. ثم تمّ صياغة المقترحات وعرضها في نهاية البحث.

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون، ماكس فيبر، كسب الرزق، المعاش، الفعل الاجتماعي، الفهم.

تاريخ الإيداع:٢٠٢٣/٠٨/٢٩
تاريخ القبول:٢٠٢٣/١١/٠٩

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

ISSN (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/index.php/index/index

A Comparative Study Between Muhammad Abd Al-Rahman Bin Khaldun And Max Weber

M. Dr. Yahya Suleiman kassam[1]

1-Arab International University . AIU . Department of Requirements.

Received: 29/08/2023
Accepted: 09/11/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a

CC BY- NC-SA

Abstract:

The research sought to compare the Arab thinker Muhammad Abd al-Rahman ibn Khaldun, who lived in the fourteenth century AD, and wrote his introduction to human civilization, which is an intellectual precedent in many fields, especially sociology, and the German thinker Max Weber, who was born in the nineteenth century. And he died in the twentieth century, and made a distinguished contribution to sociology, in his formulation of the definition of sociology: it is the social science based on understanding.

The difficulty of the research was manifested in encompassing the ideas dealt with by each of them, and for the diversity of fields of writing and creativity, for their distinction with a comprehensive encyclopedic culture, and for their involvement in more than one field of science and knowledge. Therefore, the comparison was focused on specific issues, which dealt with: birth and upbringing- culture- literature- Earning a livelihood according to Ibn Khaldun - the social act based on understanding according to Max Weber.

The research touched on the impact of the geographical and social environment on the one hand, and the impact of the temporal discrepancy between each of the thinkers on the other hand, and the linguistic vocabulary used by each of them on the third hand, and its suitability for addressing and clarifying the ideas presented.

Some of the ideas of Ibn Khaldun and Max Weber were studied independently, and researches were presented about them and letters were prepared, but comparative studies between them were rare, if not non-existent, and therefore this research takes its importance from the importance of each of them on the one hand, and the importance of what they presented on the other. And because it is unique in comparison between them from a third point of view.

The research adopted the descriptive analytical method which made it possible to use the method of comparison between two thinkers who are far apart in time, and presented their visions in one field, which is sociology, but in two different styles and formulations, which enabled the formulation of the results, and the submission of proposals at the end of the research.

Keywords: Ibn Khaldun, Max Weber, Earning a living, living, Social Action, Understanding.

المقدمة:

يبزغ في كل مجتمع، بين حين وآخر، مفكر أو عالم أو فيلسوف، يستمد ثقافته من البيئة الاجتماعية والجغرافية لهذا المجتمع او ذاك، وتتشكل لديه رؤيةٌ منهجيةُ خاصة، يحاول من خلالها تحريك الساكن الاجتماعي. ومن هؤلاء الأعلام الذين أثروا الفكر الاجتماعي:

. محمد عبد الرحمن ابن خلدون . Bin Khaldun ولد في تونس سنة 1332.

. ماكس فيبر . Max Weber . ولد في مدينة (آرفورت . Art Forth) الألمانية 1864.

وهكذا نرى أنّ المسافة الزمنية بينهما تجاوزت الخمسة قرون، ونقرأ في الفكر الاجتماعي أنّهما كانا من رواده، ووضعا في بنائه مفاهيم أساسية، أهمها (طرق كسب الرزق والمعاش) لابن خلدون، و (الفعل الاجتماعي المبني على الفهم) لماكس فيبر.

لقد عاش ابن خلدون عصر التدوين اليدوي، فظلت مقدمته الفريدة (في العمران البشري) مدة طويلة على رفوف المكتبات، حتى قام بعض المستشرقين بترجمتها إلى لغاتهم، "فترجمت إلى الفرنسية ثم نشرت على يد المستشرق (كاتو مير) (Kato Mer) أوائل القرن التاسع عشر، ومن بعده ترجمها ونشرها (دو سلان) (Do Slant)عام 1872". (المقداد، 1992، 85)، بينما عاش ماكس فيبر في عصر الطباعة الآلية، والنهضة العلمية والفكرية المبنية على ابداعات الفكر، وحوارات المفكرين ومناقشاتهم المتحررة التي كانت تغطي مختلف الجوانب النظرية والفكرية.

كتب كلاهما في مختلف المجالات، ولكنهما تميزا بما كتباه في مجال علم الاجتماع، وكانا متباينين حيناً، ومتوافقين حيناً آخر. وقد عبّر ابن خلدون عن طبيعة هذا التباين بقوله: " من الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال، بتبدل الأمصار ومرور الأيام..." (ابن خلدون، د، ت، ٢٨).

ولذلك سيكون موضوع البحث:

. التعريف بكل منهما، المولد والنشأة.

. مصادر الثقافة لكل منهما، والرحلات التي قاما بها، والمؤلفات التي كتباها.

. طرق كسب الرزق، والفعل الاجتماعي، في رؤية كل منهما.

. أثر كل منهما في الفكر الاجتماعي.

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لتوضيح التباين والتوافق في المسائل التي سيتم مناقشتها، الذي مكّن من استخدام طريقة المقارنة بين المراحل الزمنية التي عاشها كل من المفكرين من ناحية، وبين الأفكار التي طرحاها، والأثر الذي تركه كل منهما، الأمر الذي مكّن من استخلاص النتائج وتقديم المقترحات.

أولاً . الإشكالية:

أدى العمل بنوعيه، الذهني والجسمي، إلى نشوء الحضارات وتعاقبها، وكانت المجتمعات تقوم بالعمل لتلبي حاجاتها المختلفة دون أن تحدد له أطراً منهجية فكرية، وأما التعرّف على المجتمعات السابقة، فكان يتم من خلال:

آ ـــ الفلسفة: "وهي شكل من أشكال الوعي الاجتماعي، يمثل نسقاً من المفاهيم العامة عن العالم ومكانة الإنسان فيه، والأساس النظري لرؤيته ..."(المعجم الفلسفي، 1386،338)، حيث انطلق الفلاسفة يفسرون العلاقات بين المكونات الاجتماعية ويصيغون النظريات الفلسفية حول المجتمعات، ونشوء الكون.

ب ـــ كتابة التاريخ: حين راح المؤرخون يوثقون لمجريات الحروب والمعارك وتدوين أخبار الملوك والممالك وتعاقبهم، ونشوء الدول وزوالها...إلخ.

أما العلاقة بين العمل والمجتمع، وأسس تطور المجتمعات، ومفاهيمها وأدواتها، فلم تظهر إلاّ مع العلامة محمد عبد الرحمن بن خلدون (Bin Khaldun)، في مؤلفة (مقدمة في العمران البشري)، فكانت بحق، إبداعاً فكرياً لم يسبقه إليه أحد، حيث قال: " واعلم أنّ الكلام في هذا الغرض، مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة، أعثر عليه البحث، وأدى إلى الغوص، (...)، ولعمري لم أقف على الكلام في منحه لأحدٍ من الخليقة من قبل..." (ابن خلدون، د. ت، 38)، وفيه فصّل في العمل وطرق كسب الرزق والمعاش، وخصّ الكتاب الأول من الباب الخامس" في المعاش ووجوهه في الكسب وشرحهما وأنّ الكسب هو قيمة الأعمال البشرية..."(ابن خلدون، د. ت، 382)، ويمكن القول أن المقدمة كانت محاولة لتحريك الساكن الاجتماعي، لكنها لم تحدث التغيير المطلوب في ذلك العصر، وبقيت أفكار ابن خلدون، وغيره من العلماء والمفكرين، أوراقاً فوق رفوف المكتبات العربية، حتى ترجمت في عصر النهضة الأوروبية: " ففي سنة 1833 حصلت فرنسا على قرابة ألف وخمسمائة مخطوط، كان (أسلان دو شرنفيل) (Aslant Do Shrnfeel) المعتد القنصلي في مصر قد جمعها" (المقداد، 1992، 60). وبدأت ترجمتها إلى اللغة الفرنسية، ومن هذه المخطوطات مقدمة ابن خلدون، التي ترجمها إلى الفرنسية "(كاتو مير) (Kato Mer) ومن بعده (دو سلان) حيث ترجمها ونشرها في ثلاثة مجلدات 1872" (المقداد، 1992، 60) فاستفاد مفكرو الغرب من أفكارها، وطوروا بها أفكارهم. قال غاستون باشور (Gaston Basher) في ذلك: "فإن كتاب ابن خلدون يعدّ عملاً عظيماً ممتازاً في أبحاث السوسيولوجيا المفسّرة، أرسى أصول السوسيولوجيا في الشمال الأفريقي، ووضع أسسه، وما زالت بعض البناء الاجتماعي يقوم في عهدنا على ما كان يقوم في عهد ابن خلدون" (باشور، 1984، 29)، لقد أدرك المفكرون الغربيون أهمية ما بناه ابن خلدون، وعرفوا حاجات مجتمعاتهم، وبدؤوا يصيغون أفكارهم ونظرياتهم، ونحا كل منهم منحىً خاصاً به، فتعارضوا وتوافقوا، وأظهروا مقاصدهم الفكرية، فتوزعت رؤاهم في اتجاهاتٍ مختلفة. ولذلك نرى أنّ الفكر الاجتماعي تطور مع النهضة الأوروبية، وساهم بها، ورسخ أهمية الأفعال المجتمعية، حين وجّه نحو العمل، واستطاع هذا الفكر أن ينتشل أوروبا من كارثة حربين مدمرتين، في النصف الأول من القرن العشرين، شملت مجتمعاتها كافة، بينما لم يستطع الفكر العربي أن يدفع بالمجتمعات العربية إلى مستوى الفعل الجماعي.

وكان (ماكس فيبر) (Max Weber) عالم الاجتماع الألماني (1864ـــ 1920) واحداً من الأعلام الذين أسهموا في تحفيز المجتمعات الأوروبية، من خلال كتاباته وآرائه حول الفعل الاجتماعي وأسسه ومفاهيمه، فصاغ منهجاً خاصاً به أسماه (منهج الفهم الذاتي)، وقال فيه: "إن الفعل الاجتماعي أساس العلاقات الاجتماعية ذات المعنى.."(بريك، 1992، 90). إن إدراك المعنى للعلاقة بين الفعل والمعنى يحتاج إلى إعمال العقل، ومنه، فقد عُرفت السوسيولوجيا حسب ماكس فيبر: "على أنها العلم الذي يحاول الفهم من خلال التأويل للفعل الاجتماعي، والتفسير بطريقة سببية لتطوره ولآثاره" (عدنني، 2013، 7)، وفي هذا تأكيد على ارتباط الفعل الاجتماعي بالهدف الذي يتوجه إليه، وبالسبب والدافع الكامن خلفه، حيث تتشابك الأفعال وتتعدد الغايات، وتنشأ العلاقات بين البنى الاجتماعية. ومنه، يرى حسام الدين فياض أنّ " البنى الاجتماعية إنما تتشكل بفعلٍ تبادلي معقد بين الأفعال" (فياض، 2021، 337).

شكلت أهمية طرق كسب الرزق من جهة، والفعل الاجتماعي القائم على الفهم من جهة ثانية، ومعرفة أثرهما في تطوير المجتمعات وتحفيزها، دافعاً لهذا البحث، وأعطى التساؤل عن الأسباب الكامنة خلف تخلف المجتمعات العربية، وعن الأسباب الدافعة للتطور المتزايد للمجتمعات الغربية بشكل عام دافعاً لا يقل أهمية عمّا سبقه، وكان الدافع الأهم هو الرغبة الكامنة في المساهمة بإلقاء الضوء على أفكار هذين المفكرين، كونها تصلح دليلاً منهجياً في مجتمعاتنا العربية.

حاول البحث الإجابة عن التساؤلات التالية:

. ما مدى تأثر كل منهما بثقافة مجتمعه؟

. لماذا لم تعتمد آراء ابن خلدون منهجاً مدرسياً في المجتمعات العربية؟

. ما سبب تأخر انتشار آراء ابن خلدون، وسرعة تداول أفكار ماكس فيبر؟

. ما الفرق بين مفهومي طرق كسب الرزق لابن خلدون، وبين الفعل الاجتماعي المبني على الفهم لماكس فيبر؟

. ما أهمية الفهم في توجيه السلوك الاجتماعي؟

ثانياً . أهمية البحث:

اســتمد البحث أهميته من أهميّة كل من ابن خلدون وماكس فيبر في مجال علم الاجتماع، وثمة أهمية ثانية تتجلى في أنّ آراء كل منهما قد درسـت بشـكل مسـتقل ومنفصـل، لكن الدراسـات المقارنة بينهما بقيت قليلة إن لم تكن معدومة، ولذلك يأخذ هذا البحث أهميته كمحاولة في هذا المجال.

ثمة أهمية أخرى، لا تقل أهمية عمّا سبق، تتجلى في إظهار أهمية المفاهيم التي صـاغها كل منهما، وما أحدثته هذه المفاهيم، في تطوير المناهج في مجالات متعددة ومتنوعة، والتي أدت إلى التطورات في مجال العمل واستثمار الوقت والجهد الإنساني من جهة، وبناء العلاقات الاجتماعية المؤدية إلى الترابط المجتمعي والمهني من جهة ثانية. ومجتمعاتنا بحاجة إلى بناء مثل هذه المفاهيم ليواكب التطورات العلمية المتسارعة.

ثالثاً . أهداف البحث:

شـكلت الثقافة الموسـوعية، واتسـاع مجال المعرفة، لكل من ابن خلدون وماكس فيبر صـعوبة في اختيار مجالات المقارنة بينهما، ولذلك تمّ تحديد أهداف البحث، بما يلي:

. معرفة أثر البيئة الاجتماعية على تفكير كل منهما.

. توضيح الخلفية الثقافية لكل من ابن خلدون وماكس فيبر.

. توضيح مجالات التوافق والتباين بين طرق كسب الرزق والمعاش لابن خلدون، وبين الفعل الاجتماعي المبني على الفهم لماكس فيبر.

. معرفة بعض ملامح الأثر الفكري الذي تركه كل منهما في الفكر الاجتماعي بشكل عام، وفي مجتمعه بشكل خاص.

رابعاً . الدراسات السابقة:

1. الدراسات عن ابن خلدون:

آ . الدراسة الأولى: قدمتها الطالبة . بويلي سكينة . من جامعة الحاج لخضر . باتنة 1 . لنيل درجة الدكتوراه . 2015، بعنوان:

(الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون والمقريزي)[1]

هدفت الدراسة إلى:

. إبراز الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون، وبأنه مبني على أساس الأخلاق وأحكام الشريعة الإسلامية.

. المساهمة في التطبيق السليم للنظام الاقتصادي الإسلامي، كبديل عن الأنظمة الاقتصادية الوضعية.

. إبراز المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها فكر كلٍ من ابن خلدون والمقريزي.

استخدمت الباحثة المنهج التحليلي الاستقرائي، بهدف الجمع بين التحليل النظري والتطبيق العملي للنظريات الاقتصادية الإسلامية ممثلة بفكر ابن خلدون والمقريزي، وإظهار مدى إمكانية تطبيقها.

[1]) موقع /file:///:/user/hp/deskop بتاريخ 26 أكتوبر 2022)

وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

". إن الفكر الإسلامي قادر على مواكبة التطور في مختلف العصور.

. خطورة إصدار العملة النقدية وأثرها في التضخم.

. إن ما توصل إليه ابن خلدون من أن العمل أساس القيمة، يبقى صحيحاً.

. إنّ كل من ابن خلدون والمقريزي دعيا إلى حرية التجارة.

ب . الدراسة الثانية: قدمها أحمد إبراهيم أحمد عكة عام 2018، بعنوان: ***(أثر شخصية ابن خلدون في إبداع العمران البشري)***[٢]

حاولت الدراسة التعريف بإسهامات ابن خلدون في تأسيس علم العمران البشري (علم الاجتماع)، وبأفكاره وابتكاراته، وإبداعاته في تحليل البناء الاجتماعي، وقام الباحث بتوضيح أثر العقيدة الإسلامية في فكر ابن خلدون عندما صاغ مقدمته.

اعتمد الباحث المنهج التحليلي، وتتبع أثر العقيدة الإسلامية في الفكر الخلدوني، وبين رأي علماء النفس في تحليل شخصية ابن خلدون.

وخلصت إلى نتائج أهمها:

. وجود أفكار تربوية وذاتية عند ابن خلدون.

. إن الكثير من أفكاره تتوافق مع رأي علماء الاجتماع وعلماء النفس.

. ربط ابن خلدون علمه بالدين من جهة، وبالعقل من جهة ثانية.

توافقت الدراسة مع الخلفية الثقافية الدينية التي انطلق منها الباحث عندما أشاد بالخلفية الثقافية لابن خلدون التي ترتكز على أساس العقيدة الإسلامية.

ج . الدراسة الثالثة:

قدمها د. عصام عبد الشافي، عام 2022، وكانت بعنوان: ***(الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون)***[٣]

وأوضح فيها رؤية ابن خلدون في نشوء الدولة، التي هي أساس الحضارة، وبيّن أعمارها التي تماثل أعمار البشر، وعدد هذه الأعمار (الأجيال)، وقال إن مدة كل جيل أربعون عاماً، وفصّل في وصف هذه الأعمار وصفات القائمين عليها.

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة إلى معرفة:

. ماهية الثورة وما هي أبعادها في فكر ابن خلدون.

. الوقوف على دور الثورة كآلية من آليات التغيّر الحضاري في فكر ابن خلدون.

. معرفة ما تثيره الثورة من إشكاليات البناء الحضاري.

اعتمد المنهج التحليلي، وقسم الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

. الأول: الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون.

. الثاني: الثورة وآليات التغيّر السياسي عند ابن خلدون.

. الثالث: الثورة وإشكاليات البناء الحضاري.

النتائج التي تمّ التوصل إليها:

. تعاقب أعمار الدولة يعني أنّ التغيّر مستمر.

---

٢) موقع (Hott://repository.naiah//wwwgoogal.com.l/5/2018)

٣) نشرت بتاريخ 2022على موقع https://ibnkhaldun.academy/%D8

. إن الدولة العربية الحالية لا تختلف عن الدولة الإسلامية كما عرفها التاريخ.

. إن مسألة (العصبية) عند ابن خلدون تعني الصراع، وهي مركز التغيّر.

. إن حتمية التغيّر تظهر واضحة في فكر ابن خلدون.

د . الدراسة الرابعة:

قدمها كل من: أ. القيزي عبد الحفيظ، د. تومي بلقاسم، د. طوال عبد العزيز . من جامعة الجلفة في الجزائر،2023.

وكانت بعنوان: ***(دلائل الاجتماع الإنساني من خلال الإرث السوسيولوجي لابن خلدون)***[٤]

عرّفت الدراسة بأصل ابن خلدون ونشأته، وأثر البيئة الاجتماعية في فكره وثقافته. كما استعرضت أهمية العمران ودوره في تحديد هوية الأفراد والأمم، وربط العمران بالعمل الذي هو أساس الحضارة والرفاهية، وبأن العمل يقوم على أساس التعامل بين الناس وعلى تعاونهم.

اعتمدت المنهج التحليلي التاريخي وهدفت إلى بيان أهمية أفكار ابن خلدون، بما يتعلق بالعمل، وبالعمران، وبناء العلاقات الاجتماعية، وبنشوء الدولة.

وبيّنت أنّ ابن خلدون يرى أنّ:

. الاجتماع البشري القائم على الطبيعة البشرية ضروري لما يتميز به من قدرات فكرية.

. ضرورة قيام نظام يضبط العلاقات بالوازع والسلطان والقهر.

. تلازم البقاء والعيش مع السعي لاكتساب الرزق.

. العمران هو النزول بمصر(بلد)، وحلّه (إحلال) بالأمن والعشرة.

وتطرقت الدراسة إلى مفهوم العمل عند ابن خلدون، وإلى أنواعه وفروعه.

خلصت الدراسة إلى نتائج منها:

. إن الحياة الاقتصادية مرتبطة أساساً بالأرض، وقد ينفصل العمل مع وجود المدينة.

. إن الحياة المعاشية تمتد آثارها إلى مختلف النشاطات والميادين المجتمعية الأخرى، سياسية وسلوك أخلاقي، وتنظيمات.

. التأكيد على أن الصراع مستمر بين المجموعات التي تتناقض أساليب معاشها.

2 . الدراسات عن ماكس فيبر:

آ . الدراسة الأولى: قدمتها هديل العتوم، 2019، بعنوان: ***(الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر)***[٥]

تعرضـــت فيها إلى الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر، وإلى الأنماط المثالية، وبينت تعريف ماكس فيبر لعلم الاجتماع بأنه: " ذلك العلم الذي يريد الوصول إلى معرفة تفسيرية للفعل الاجتماعي، من أجل التوصل إلى تفسير علمي مجرد لهذا الفعل ولآثاره".

أما الفعل الاجتماعي حسب تعريف ماكس فيبر، والذي يجب أن يكون موضوع دراسة علم الاجتماع هو:

" أي سلوك إنساني، يضفي عليه الفاعل مفهوماً ذاتياً، والفاعل حين يقوم بهذا الفعل الاجتماعي، فإنّه يضع سلوك الآخرين دائماً في اعتباره، ويكون فعله بالتالي موجهاً نحوهم.

---

[٤]) موقع: مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية . العدد الرابع عشر . شباط file:///:/user/hp/desktop/2023)

[٥]) (موقع: https://e3arabi.com/sociology بتاريخ 19 فبراير 2019)

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي. وبينت أنّ ماكس فيبر عدّ أنّ وحدة التحليل الرئيسية للمجتمع، هي الفرد الفاعل. وأنّه أقام نظريته على أساس التمييز بين أربعة أنماط أساسية من الفعل الاجتماعي هي:

1 . الفعل العقلاني الذي يرتبط بهدف ما.

2 . الفعل العقلاني الذي يرتبط بقيمة ما.

3 . الفعل الوجداني أو العاطفي.

4 . الفعل التقليدي.

كما أوضحت مفهوم الأنماط المثالية عند ماكس فيبر، لأنّ نظريته تعتمد على تصنيف الفعل الاجتماعي أو على التنميط الذي يأخذ أهمية خاصة، فقد رأى أنه لكي نتمكن من تحليل الظاهرات الاجتماعية، وهي موضوع علم الاجتماع، لا بدّ أن تكون لدينا أداة نقوم بالتحليل على أساسها تسهل لنا عملية المقارنة بين هذه الظاهرات، وهذه الأداة أسماه، فيبر، بالنماذج، أو المثالية الخاصة.

. الدراسة الثانية: قدمها: هادي المحمود . 2021، بعنوان:

(الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر . رؤية ماكس فيبر للتطور ونمو المجتمعات) [٦]

حاولت الدراسة الإجابة عن السؤال: ما هو الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر؟

وهدفت التأكيد على:

. أنّ كل فعل له قصدٌ معين.

. أهمية ودور الفهم في توجيه السلوك.

. إنّ الفهم يمكّن من اختيار الوسائل والأدوات للوصول إلى الغايات.

. إنّ الفعل الاجتماعي هو سلوك إرادي لدى الإنسان.

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي في الإضاءة على أفكار ماكس فيبر وشرحها.

توصل الباحث إلى نتائج، منها:

إنّ ماكس فيبر يرى أنّ الفعل الاجتماعي يرتكز على قضية أساسية التفسير السلوك الإنساني، وهي: إنّ كل سلوك، هو سلوك هادف، أي أنّ الفاعل الاجتماعي عندما يهدف لبلوغ هدف أو غاية ما، فإنه يختار عدة وسائل وأنماط سلوك متعارف عليها اجتماعياً للوصول إلى غاياته. ويقول: إن النظرية الاجتماعية تميّز عادة بين الفعل والسلوك، فبينما يشكل السلوك حركة بدنية أو (فطرية) بحتة تصدر عن الشخص الذي قام بها، يكون الفعل نابعاً من قصد، وهادفاً إلى غاية.

كما يرى أن الفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماعي عند فيبر، وعرفه بأنه: صورة السلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي او الخارجي الذي يكون معبراً عنه بواسطة القيام بالفعل أو الإحجام عن القيام به.

وعدد أنماط الفعل عند فيبر.

كما افترض أن تناول الفعل الاجتماعي يتطلب وجود فاعل.

أظهرت الدراسة أن تحليل الفعل، يشمل ثلاثة مستويات، هي: . المستوى الإدراكي . المستوى الوجداني . الجانب القيمي.

---

٦) (موقع: https://www.socioclub.net/2021/07/PDF321.html بتاريخ تموز 2021)

3 . الدراسات الأجنبية:

1 . الدراسة الثانية: قدمها الباحث (برايان ترنر)[٧] (Turner, Bryan) وترجمها طارق عثمان، وكانت بعنوان:

(الإسلام والرأسمالية وأطروحة فيبر)[٨]

نشرت الدراسة أول مرة عام 1974، ثم أعيد نشرها عام 2010، كما نشرت عام 2020، على موقع نهوض للدراسات والبحوث.

وهدفت الإجابة عن تساؤل مهم، وهو: ـــ لماذا ظهرت الرأسمالية في الغرب دون الشرق؟ وللإجابة عن هذا السؤال سعى فيبر إلى تحليل تأثير الأفكار والقيم الدينية في الممارسات الاقتصادية. وخلص إلى أن هناك علاقة بين تطور الرأسمالية في الغرب تحديداً وقيم البروتستانتية الكالفينية.

وتكمن أهمية الدراسة بأنها تضمنت نقداً تحليلياً للأفكار التي طرحها ماكس فيبر عن الإسلام.

قسمت إلى أربعة أقسام أساسية:

الأول: يتضمن عرض أربعة أطروحات أو تأويلات موجودة في حقل السوسيولوجيا لنظرية فيبر حول الأخلاق البروتستانتية.

الثاني: يعرض أفكار ماكس فيبر عن الإسلام المبكر والشريعة.

الثالث: يقدم نقداً لهذه الأفكار.

الرابع: يبين كيف أنّ الإصلاحيين الإسلاميين من مفكري عصر النهضة قد تبنوا في محاولاتهم للدفاع عن الإسلام وتفسير تقهقره، حججاً فيبريه.

كما قدمت نظرية لدوافع الأشخاص، وتأويلاتهم للأفعال الاجتماعية، وإن هذه الدوافع تؤثر في الواقع الاجتماعي.

وأظهرت دور السلطة الأبوية (التقليدية)، وأثرها على المجتمع برمته، وقال حول الفعل الاجتماعي: لكي نفسر الأفعال الاجتماعية علينا أن نفهم معانيها الذاتية، أي التفسيرات والتوصيفات التي يقدمها الأشخاص.

واستنتج أهمية المبادئ الأولى التي قام عليها الإسلام، وهي: قوة السلطنة، والعدل الذي كان سائداً، وإن سبب تخلف العالم الإسلامي يكمن في ضعف السلطنة وانحسار العدل.

إن تحليل الجانب الديني بعيدٌ عن الدراسة التي نحن بصددها، لكن تحليل الباحث للفعل الاجتماعي القائم على الفهم، يفيد دراستنا في المقارنة بين الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر وطرق كسب الرزق عند ابن خلدون.

2 . دراسة لجان فرانسوا دورتيه، 2013، بعنوان: (ماكس فيبر سوسيولوجي الحداثة)(دورتية، و، كابان، 2013، 373).

ألقى الباحث الضوء على حياة ماكس فيبر، ومصادر ثقافته، وعدّه مؤسس السوسيولوجيا الألمانية المعاصرة، وأظهر: أنّ ماكس فيبر يرى أنّ السوسيولوجيا هي علم بخصوص الفعل الاجتماعي، وإنّ هذا الفعل يقوم على الفهم الذي يوجه السلوك، وليس على أساس الحتمية المفروضة التي قال بها (ماركس، و، دوركهايم)، (Marks & Durkheim) وعدّ أنّ الفعل القائم على الفهم الذي يقوم به فاعل أو (فاعلون)، هو أساس تطور المجتمعات، وسماه نهج السوسيولوجيا الاستيعابية، وأنّ الاستيعاب هو (الفهم).

وبيّن أن أنماط الأنشطة البشرية ثلاثة، هي:

---

٧) أستاذ السوسيولوجيا وعميد كلية العلوم الاجتماعية والسياسية بجامعة كامبردج.

(*) (Turner, Bryan S. (2010). Islam, capitalism and the Weber theses. The British journal of sociology, 61: 147-160.)

٨)موقع مركز نهوض للدراسات والبحوث، file:///C:/Users/HP/Desktop/، 2020

. الفعل التقليدي. . الفعل الوجداني. . الفعل العقلاني.

وإن الفعل يجب أن يتجه نحو الكمال، وعدّ (الأنموذج المثالي)، هو معيار صحة الفعل وكمالها. وإنّ الأنماط المثالية تتعدد، بتعدد الأفعال، ومستويات الفاعلين.

وبيّن الباحث أنّ فيبر في كتابة (الاقتصاد والمجتمع) أظهر ثلاثة أنماط من الهيمنة، هي:

. الهيمنة التقليدية (أبوية). . هيمنة الكاريزما. . الهيمنة العقلانية (القانونية).

التعليق على الدراسات السابقة:

بعد قراءة الدراسات والأبحاث التي تناولت ابن خلدون، لوحظ قلّة الدراسات التي حاولت الإفادة من فكر ابن خلدون، ودعت إلى تأسيس فكر اجتماعي عربي شامل، يستند إلى القواعد والأسس التي وضعها ابن خلدون لبناء المجتمعات، وإعمار البلدان، فتنوعت مدلولات العناوين بين الاجتماع والسياسة والاقتصاد والدين.

أما الدراسات التي قدمت حول ماكس فيبر فتركزت، في معظمها، حول الفعل الاجتماعي المبني على الفهم، وأهمية هذا الفعل في بناء المجتمع، وبينت أن مبدأ الفهم يشكل إشكالية لدى المهتمين بعلم الاجتماع، لغموض بعض جوانبه، واتساع مجالاته، وتنوع حالاته.

اعتمدت الدراسات السابقة المنهج الوصفي التحليلي، وهو المنهج ذاته الذي اعتمد في الدراسة المقدمة، كون هذا المنهج ملائماً لمثل هذه الدراسات، ولقد استفاد الباحث من تنوع الدراسات، ومن تعدد مجالاتها، الأمر الذي ساعد في إجراء المقارنة بين المفكرين.

ولم نجد أي دراسة مقارنة بين ابن خلدون وبين ماكس فيبر، على الرغم من أن ماكس فيبر أخذ بعض أفكاره عن ابن خلدون، وخاصة ما يخص العمل والفعل والسلطة (الهيمنة)، وهذا ما قصده ابن خلدون بالحاجة إلى الحكم " الوازع والسلطان القاهر..."(ابن خلدون، د. ت، 40).

خامساً . منهجية البحث:

نظراً للطبيعة النظرية للبحث، ولأنّ مجالاً زمنياً واسعاً يفصل بين مفكرين من بيئتين اجتماعيتين مختلفتين، ثقافياً وجغرافياً، فقد اعتمد المنهج الوصفي التحليلي الذي يمكن من استخدام طريقة المقارنة بين الثقافتين اللتين ارتكز إليها كل منهما، والمفاهيم التي صاغاها واعتمداها، كما يمكن من مناقشة هذه المفاهيم. وتمّ الاستناد إلى مفهوم ماكس فيبر في علم الاجتماع القائم على الفهم، بهدف معرفة ما يرمي إليه كل من ابن خلدون وماكس فيبر.

سادساً . فروض البحث:

يستند البحث إلى فرض أساسي يقول: " تتأثر آراء المفكرين بالبيئة الاجتماعية وبالثقافة المحلية السائدة، وتؤثر فيها، لكن هذا التأثر يتغيّر مع مرور الزمن". ومن فروض فرعية، تقول:

. قد تلتقي أفكار كل من ابن خلدون وماكس فيبر في الإطار العام، لكنها تتعارض في القضايا الفرعية.

. قد يكمن الفكر الناتج عن الثقافة المحلية في مرحلة معينة، لكنه لا يتلاشى فيظهر في مرحلة زمنية أخرى.

– هناك ظروف موضوعية جعلت الفكر الاجتماعي الغربي يتأثر بماكس فيبر، أكثر من تأثير ابن خلدون في الفكر الاجتماعي العربي.

. قد تؤثر التقنيات السائدة في البيئة الثقافية في انتشار الأفكار وتداولها.

سابعاً . المفاهيم والمصطلحات العلمية:

1 . قيمة المادة: (حسب ابن خلدون) بقدر ما يبذل فيها من عمل.(ابن خلدون، د. ت، 382).

2 . المعاش: (حسب ابن خلدون) عبارة عن كسب الرزق والسعي في تحصيله.(ابن خلدون، د.ت، 383)

3 . الكسب: (حسب ابن خلدون) قيمة الأعمال البشرية، وهو من الأعمال الإنسانية.(ابن خلدون، د. ت، 383)

4 . العمل: عملية يؤثر الإنسان من خلالها تأثيراً هادفاً في طبيعة الأشياء ويحورها، وعناصر العمل هي:

ـ النشاط الهادف، أو العمل ذاته. مادة العمل: الموضوعات التي يتوجه النشاط البشري نحوها. أما وسائل العمل، فهي الأدوات التي يتم العمل بواسطتها، وخلال العمل تتطور قدرات الإنسان المادية والروحية. (المعجم المختصر،1986، 316).

5 . الفعل . (حسب ماكس فيبر): ذلك السلوك الإنساني الذي يضفي إليه الفاعل (الفاعلون) معنىً ذاتياً. (فياض، 2021، 338).

6 – الفعل الجماعي: هو ذلك الفعل ذو المعنى الذي ينسبه الفاعل (الفاعلون) إلى سلوك الآخر، ويمكن توجيهه بحسب سلوك الآخر، والآخر، هو فرد، أو عدة أفراد، أو جمهور كبير، ويشكل الفعل الجماعي أساس العلاقات الاجتماعية ذات المعنى التي يوجه الأفراد تبعاً لها سلوكهم باتجاه بعضهم. (بريك، 1992، 95).

7 – الفاعل الاجتماعي: أي مجموعة لديها وعي كاف لمصلحتها المشتركة ستتحرك بشكل طبيعي لتحقيق هذه المصلحة (...)، ويصب هذا الوعي بشكل طبيعي في عمل جماعي، يهدف لتحقيق المصلحة المشتركة. وإن الوصول إلى الفعل الجماعي يمر عبر المتتالية: مصلحة عامة . وعي المصلحة العامة . الفعل الاجتماعي...)(بوردون، و، بوريكو، 1986، 428).

8 . الفاعل Acuter: تقدم السوسيولوجيا المعاصرة عدة أوجه للفاعل، هي:

– الأنسي الاقتصادي: وهو فاعل عقلاني، يتصرف بعد التقدير الأفضل للمكاسب وللكلفة، ونموذجه البورجوازي الصغير، الأناني والمدقق للعواقب.

– الفاعل الاستراتيجي: الذي يتصرف وفقاً لعقلية محددة، ولكون معلوماته ومقدرته على التحصيل محدودة، فهو يكتفي بالتصرف بشكل "معقول (Reasonable)".

ـ الملتزم: الذي يتصرف باسم القيم، (الشرف ـ المجد ـ العدالة...) فهو يلتزم تبعاً لمشاريعه أو لأهوائه، وهناك ضرب جماعي لهذا الفاعل، وهو الحركة الاجتماعية، أي زمرة اجتماعية تحمل هوية قومية، ومشروعاً للتغيير. (دورتيه، وكابان، 2013 ، 373).

9 ــ الفهم: وهو المفهوم الثاني في تعريف السيسيولوجيا حسب ماكس فيبر، ويقصد به فهم الفعل الاجتماعي، أي: الإدراك بالبداهة معنى فعل أو علاقة ما، فالفعل الاجتماعي يتجه تبعاً لمعنى، وهذا المعنى ليس إلاّ المعنى الذاتي الذي يتطابق مع عقول الآخرين. (بريك، 1992، 93).

10 ـــــ المعايير: تعتبر طرائق محددة للعمل والوجود والتفكير، ومعاقب عليها اجتماعياً، وهي متعددة بحسب المهن والجماعات والمجتمعات... (بوردون، سابق، 514).

ثامناً . الإطار المنهجي التحليلي: سيتم بيان وتحليل المسائل التالية لكل منهما:

المولد والنشأة . مصادر ثقافة كل منهما . المؤلفات . الكسب والعمل . الفعل الاجتماعي القائم على الفهم . تأثير كل منهما في بيئته.

١ . المولد والنشأة:

آ ـ ابن خلدون: ولد عبد الرحمن محمد بن خلدون في تونس عام (732 للهجرة ـ 1332 ميلادية) بالدار الكائنة بقرب تربة الباي رقم /34/، من أسرة علم وأدب ودين، حفظ القرآن الكريم في طفولته وكان عمره أربعة عشر عاماً، وكان أبوه معلمه الأول، شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة، وكانوا أهل جاه ونفوذ، نزحوا من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري، وتوجهوا إلى تونس خلال حكم دولة الحفصيين.

يتعقب ابن خلدون أصوله فيصل نسبه إلى حضرموت، ولذلك كنيَ بالحضرمي"، حيث يقول: " يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، الغني بلطفه، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، وفقه الله..."(ابن خلدون، د. ت، 3)، وذَكر في موسوعته كتاب العبر، المعروفة باسم "تاريخ ابن خلدون" أنه من سلالة الصحابي وائل بن حجر".

ب . نشأت ماكس فيبر:

ـ " ولد ماكس فيبر في مدينة (آر فورت) الألمانية، وهو أكبر إخوته السبعة، أنهى دراسته الثانوية عام 1882، ثم درس علم القانون والاقتصاد، إضافة إلى التاريخ واللاهوت في الجامعات الألمانية المتخصصة. عام 1889 حصل على شهادة الدكتوراه عن عمله الأكاديمي حول (مسائل القانون التجاري في القرون الوسطى)، ثم بدأ التدريس في أكثر من جامعة ألمانية.

عام 1879 أصيب بانهيار عصبي حاد منعه من التدريس مدة طويلة، وبعد تعافيه تفرغ للسفر وللبحث العلمي" (بريك، 1992، 90).

كان ماكس فيبر يحب النقد، ولكنه لم يؤسس لمدرسة كما فعل كل من كارل ماركس، وإيميل دوركهايم، كما أنه لم يخض غمار السياسة، فانتقد مغامرات الإمبراطور غليوم الثاني، ولذلك عاش متوحداً في مجاله العلمي. تميّز بتدفق الأفكار التي يطلقها دون أن ينتظر مناقشتها، أو التعليق عليها، يقبل بالتراجع كما يقبل بالتجديد، وفي كل الحالات يبقى هادئاً رصيناً مستقلاً، كما كان يحب العدالة ويكره الظلم، ويدافع حتى عن أعدائه إذا ظلموا، متعصب لوطنه، بل شديد الانتماء"(فروند، 1986، 34)، توفي ماكس فيبر في الرابع من حزيران عام 1920.

٢ . مصادر ثقافة كل منهما:

آ . مصادر ثقافة ابن خلدون:

. تتلمذ على يد أبيه فكان معلمه الأول، وكما سبق، حفظ القرآن الكريم وكان في الرابعة عشر من عمره.

ـ قرأ ما كتبه المؤرخون حتى عصره، ومنهم: ابن اسحق، الطبري، ابن الكلبي، محمد بن عمر الراشدي، سيف الدين الأسدي، وانتقد ما كتبه المسعودي والواقدي، وقال في نقده لهم: "من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الإثبات (...)" كما قرأ " لأبي حيان التوحيدي مؤرخ الأندلس والدولة الأموية، وابن رفيق مؤرخ أفريقية، وقال: ومن بعدهم لم يأت إلا مقلد"(ابن خلدون، د. ت، 4)، وكان نقده للمؤرخين نقداً منهجياً، مستنداً فيه إلى العقل والمنطق.

– قرأ ابن خلدون الفلسفة اليونانية وخاصة ما كتبه أفلاطون وأرسطو، وما كتبه كل من الفارابي وابن سينا وابن رشد، (...)" ولم يتوافق مع الفلاسفة، وأفرد فصلاً في نقضها بعنوان " في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها" (ابن خلدون، د. ت، 514).

– **رحلاته** – كانت رحلات ابن خلدون من مصادر ثقافته، فقام برحلتين الأولى: رحلته إلى المشرق، ويقصد بالمشرق مصر وبلاد الشام، وقرأ في رحلته إلى المشرق دواوين العرب وأشعارهم. فقال: "ثم كانت الرحلة إلى المشرق لاجتناء أنواره وقضاء الفرض والسنة، والوقوف على آثاره في دواوينه وأشعاره، فزدت ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الديار، ودول الترك فيما ملكوه من الأقطار، وأتبعت بها ما كتبته في تلك الأسفار "(ابن خلدون، د.ت، ص٦)... والثانية: إلى الأندلس حيث تفقد عمرانها ودرس علومها، فقال:" ففاوضت يوماً شيخنا أبا البركات كبير مشيخة الأندلس"(ابن خلدون، د، ت،525).

ب . مصادر ثقافة ماكس فيبر:

إلى جانب دراساته الأكاديمية، قرأ في مجال الاقتصاد والقانون والتاريخ وعلم الثقافة والدين والفلسفة، ونظرية العلم، كما أبدع في مجال الاختصاصات العلمية التي تقع على الحدود الفاصلة ما بين علم الطبيعة وعلم المجتمع، التي يشكل الإنسان موضوعها، مثل: علم النفس، وعلم أصل الإنسان.(بريك، 1992، 90)، كما قام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

٣ . مؤلفات كل منهما:

آ . مؤلفات ابن خلدون:

تعد المقدمة في العمران البشري أهم مؤلفات ابن خلدون، ورتبها كما يلي:

". المقدمة: في فضل علم التاريخ، وتحقيق مذاهبه، والإلماع بمغالط المؤرخين.

. الكتاب الأول: في العمران، وذكْر ما يعرض من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش، والصنائع والعلوم...

. الكتاب الثاني: في أخبار العرب وأجيالهم، منذ بدء الخليقة حتى هذا العهد، وفيه من الإلماع إلى بعض من عاصرهم...

– الكتاب الثالث: في أخبار البربر ومواليهم من زناتة، وذكر أوّليّتهم وأجيالهم، وما كان بديار الغرب خاصـــة من الملك والدول..." (ابن خلدون، د. ت، 6). وجاءت المقدمة في ستمائة صفحة.

جاء في عنوان مقدمة الكتاب الأول حول طبيعة العمران في الخليقة، وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصـــنائع والعلوم ونحوها، وما لذلك من العلل والأســباب، فكتب: " واعلم أن الكلام في هذا الغرض مســتحدث الصــنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة، أعثر عليه البحث، وأدى إلى الغوص (...) ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحدٍ من الخليقة"(ابن خلدون، د. ت، 38).

– كتب في العلوم الطبيعية المعاصرة، وقام بتصنيفها في الباب السادس من الكتاب الأول، وسماه " في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه، وما يعرض من ذلك كله من الأحوال، وفيه مقدمة ولواحق" (ابن خلدون، د. ت، 429)

ومنه نرى أن ابن خلدون كتب وأسس لعلم جديد بكل مقاييس العلم.

ب . من مؤلفات ماكس فيبر:

" إلى جانب إبداعاته في مجال السوسيولوجيا، فقد أبدع في مجال الاقتصاد وعلم القانون والتاريخ وعلم الثقافة والدين والفلسفة وعلم السياسة ونظرية العلم، كما بحث وكتب في مجال علم النفس وعلم أصل الإنسان.

تعرض في أبحاثه المتعددة إلى إجراء التحليل المقارن بين الأديان والثقافات الكونية والمشكلات الأساسية لتطور المجتمع الحديث. كما طور القواعد والأسس المنهجية التي يقوم عليها علم الاجتماع القائم على الفهم."(بريك، 1992، 90).

وكتب عدة مجلدات في:

". الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.

. الاقتصاد والمجتمع".(المعجم المختصر، 1986، 576).

. مقارنة عامة بين نشأة وثقافة ومؤلفات ورحلات كل من ابن خلدون وماكس فيبر:

. اتسع الفارق الزمني بينهما إلى /532/ عاماً.

. نشأ ابن خلدون في بيئة متدينة عريقة، ومجتمع شهد أعلى درجات التطور والنهوض في المشرق وفي الأندلس، ثم بدأ بالانحدار والتفكك، فكان يعايش هذا التفكك. بينما كان ماكس فيبر أكبر إخوته الســبعة، ونشــأ في مجتمع ناهض، نشــط فيه الفكر الاجتماعي متلمساً سبل الخلاص، بعد أن رزح تحت سطوة القرون الوسطى وسيطرة كنيستها وظلم إقطاعيها.

ــ قرأ كل منهما التاريخ والفلسفة والعلوم السائدة حتى عصره، وكان مجال ثقافة ابن خلدون محدوداً في قراءة المخطوطات التي تقع بين يديه، حيث كان التدوين هو الوسـيلة السـائدة لنشـر المعرفة. بينما كانت الطباعة والترجمة ناشـطتين في عصـر ماكس فيبر، ومعهما كان الفكر الاجتماعي في ذروة إبداعاته، حيث فنشأت تيارات فكرية متعددة متناقضة حيناً، ومتكاملة أحياناً.

– قام ابن خلدون في رحلتين الأولى إلى المشـــرق، فزار مصـــر وبلاد الشـــام والعراق، وأدى الفرض والســـنة، وقرأ دواوين العرب وأشعارهم، والثانية إلى الأندلس، ليطلع على أحوالها، وعمرانها، وحضارتها.

بينما سافر ماكس فيبر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، محاضـراً في جامعاتها، مناظراً لعلمائها، ناقداً لأفكار غيره، سـامعاً لمنتقدي أفكاره، وفي كل الحالات كان مفيداً ومستفيداً.

– ألف ابن خلدون مقدمته، أظهر فيها تمسكه بالدين، مستشـهداً بآيات من القرآن الكريم، وبأحاديث نبوية للرسـول (ص). بينما لم يظهر ماكس فيبر تمسـكه بالدين، وإن كتب في علم الاجتماع الديني أربعة مجلدات كان فيها محللاً وناقداً، راصـداً تأثير الدين في المجتمعات، لكنه لم يكن مستسلماً لنصوصه ولا لآراء رجاله.

ـ أسس ابن خلدون لعلمٍ جديد، لم يسق أن خاض مجاله أحد من قبل، فظلت مقدمته عملاً فريداً في مجالها وأسلوبها وأهدافها. بينما كانت مؤلفات وأبحاث ماكس فيبر متلائمة مع المؤلفات الفكرية لعصـر النهضـة الاجتماعية أخذت مكانها بين هذه المؤلفات، وكان إسهامه المميز في التأسيس لعلم الاجتماع القائم على الفهم.

ولذلك تشابها في نشأتيهما وثقافتيهما المتنوعة، وفي توجهاتهما الفكرية الموسوعية، وترك كل منهما إرثاً فكرياً خاصاً به.

٤ . العمل: . مفهومه . أنواعه . لدى كل من ابن خلدون وماكس فيبر :

آ . عند ابن خلدون:

1 . مفهوم العمل عند ابن خلدون:

صـاغ ابن خلدون عنوان الباب الخامس من الكتاب الأول، بقوله: " في المعاش ووجوبه من الكسب والصنايع، وما يعرض في ذلك كله من الأحوال، وفيه مسـائل ..." (ابن خلدون، د. ت، 380)، ومن العنوان نقرأ أنّ ابن خلدون ربط المعيشـة والحياة الاجتماعية، بكل تفرعاتها من جهة، بالواجب المفروض على الفرد والمجتمع من جهة ثانية، مؤكداً العلاقة بين العمل كواجب، وبين الصـــناعة كمجال عمل.

وإذا عدنا إلى مفهوم الكسـب، بمعنى الربح، نرى أنّ ابن خلدون اعتبر أنّ التقصـير في السـعي إليه يعني، بشـكل من الأشـكال، الخسارة التي تلحق بالفرد والمجتمع، وما تؤدي إليه من الفقر والحاجة. والخسارة في رأي ابن خلدون دليل ضعف، عبّر عنه بقوله:" ومتى اقتدر الإنسان على نفسه، وتجاوز الضعف، سعى في اكتساب الرزق" (ابن خلدون، د، ت، 382)، والضعف الذي يمنع من اكتساب الرزق متعدد من جهة، ومحدد من جهة ثانية، مثال: العمر بالنسبة للأولاد، والمرض بالنسبة للمريض يحولان دون السعي لكسب الرزق.

ربط ابن خلدون واجب الكسب مع الصنائع، حين أفسح مجال العمل، وفتح أبوابه المتعددة، موضـحاً ذلك في ثلاثة وثلاثين فصـلاً، مبيناً فيها أنواع الصـناعات، وأهميتها، وطرقها، ومبادئها، وأساليب تعليمها، واعتبر أنّ التعليم من جملة الصـنائع، " الفصـل الثاني . في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع" (ابن خلدون، د. ت، 430)، وجعل منه مادة (الباب الخامس من الكتاب الأول).

كما أدرك أنّ جوهر العمل يكمن في جماعيته، أي أن العمل اجتماعي، فقال: " فلا بدّ من الأعمال الإنســـانية في كل مكســـوب ومتحول، لأنّه إن كان عملاً بنفســـه مثل الصـــنائع فظاهر، وإن كان مقتنى مثل الحيوان والنبات والمعدن، فلا بدّ فيه من العمل الإنسـاني، كما تراه، وإلاّ لم يحصـل، ولم يقع به انتفاع..."(ابن خلدون، د. ت،381)، إذن، فإن العمل الإنسـاني بكل تفرعاته التي أوردها ابن خلدون، هو عمل جماعي لا يمكن لفرد أن يقوم به على الشكل الأمثل.

2 . قيمة العمل عند ابن خلدون:

يرى ابن خلدون أن قيمة العمل تظهر في مدى تلبيته للحاجة الإنسـانية، أي بمدى الانتفاع منه، وعليه يمكن أن تحول قيمة العمل إلى ادخار من الذهب والفضـة، فيقول:" فهما أصل المكاسب والقنية والذخيرة، وإذا تقرر هذا كله، فاعلم أن ما يفيد الإنسان ويقتنيه من المتحولات إن كان من الصـنائع، فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله، وهو القصـد بالقنية"، ولكنه ميّز بين الفائدة من الاقتناء حيث تصـبح ذخائر مجمدة في الأدراج والصـناديق، وبين الصـنائع ذات النفع العام والدائم، كالنجارة والحياكة، حيث يتم تحويل الخشـب إلى أثاث، والصـوف والقطن إلى ثياب، وهما من الحِرف ذات الفائدة الاجتماعية، قال فيها: " ليس هناك إلاّ العمل، وليس بمقصـود بنفسه للقنية، وقد يكون مع الصنائع للقنية، مثل التجارة والحياكة، معهما الخشب والغزل، إلاّ أنّ العمل فيهما أكثر، فقيمته أكثر من غير الصـنائع، فلا بدّ من قيمة ذلك المفاد، والقنية من دخول قيمة العمل الذي حصلت به، إذ لولا العمل لم تحصل قنيتها..." (ابن خلدون، د. ت، 382). إذاً يرى ابن خلدون أن قيمة المادة بقدر ما يبذل فيها من الجهد لتحويلها من مادة خام إلى مادة نافعة للمجتمع، وهذ الفكرة عدّت سبقاً فكرياً في المجال الاقتصادي.

3 . أنواع الكسب (العمل) عند ابن خلدون:

بيّن ذلك في عنوان الفصل الثاني من الباب الخامس من الكتاب الأول، عندما أسماه: " في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه" مؤكداً في هذا الفصـل التوافق اللغوي بين مفهوم كسـب الرزق وبين مفهوم العمل، وبأنه وسيلة الحياة، في علاقة بين العمل والكسـب من جهة، وبين العيش من فعل عاش، يعيش، أي يحيا، أو يبقى حياً من جهة ثانية، حيث قال:" اعلم أنّ المعاش هو ابتغاء كسـب الرزق، والسعي في تحصيله، وهو مَفْعَل من العيش"(ابن خلدون، د. ت، 382)، ويقصد بقوله: مَفْعَل، أنه مشتق من الفعل، وذلك بعد أورد مفهوم (السعي)، وبذلك يؤكد أنّ العمل وسيلة أساسية للحياة، (لما كان العيش هو الحياة). كما بين أنواع كسب الرزق، وميّز بين ما هو مشروع وقانوني وأخلاقي، وبين ما هو غير مشروع، فقال مبيناً ذلك في الفصل الثاني:

". إما أن يكون بأخذه من يد الغير بالاقتدار عليه على قانون متعارف، ويسمى مغرماً وجباية...

. وإما أن يكون من الحيوان الوحشي بافتراسه... ويسمى اصطياداً...

. وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنعام، والحرير من دوده...

. أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده... ويسمى فلحاً...

. وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية، إما من مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة ونجارة وخياطة...

وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأعواض... وتسمى التجارة ...

فهذه وجوه المعاش وأصنافه..." (ابن خلدون، د. ت، 382).

وقال في عنوان الفصـل الثالث: " في أن الخدمة ليسـت من الطبيعي" (ابن خلدون، د. ت، 382)،). أي أنها ليسـت عملاً يليق بطبيعة الإنسان.

أما عنوان الفصل الرابع، فكان " في أن ابتغاء الأموال من الدفائن والكنوز ليست بمعاش طبيعي"(ابن خلدون، د. ت،383).

كما أظهر العلاقة بين استمرارية العمل وديمومته، وبين استمرار وجود الخيرات في الطبيعة، فقال:" واعلم أنه إذا فقدت الأعمال أو قلت بانتقاص العمران، تأذّن الله برفع الكسـب، ألا ترى إلى الأمصـار القليلة السـاكن كيف يقل الرزق والكسـب فيها، أو يفقد لقلة الأعمال الإنسانية..."(ابن خلدون، د. ت،383) وفي هذا القول تأكيد على العلاقة الوثيقة والمتكاملة بين العمل والطبيعة، وجوهرها

عطاء متبادل. يعطي الإنســـان من جهده، فترد الطبيعة، بكل مكوناتها، الأرض والينابيع، من خيراتها تدفقاً يدفع إلى المزيد من العمل، وتطوير أدواته وأساليبه، فتزيد أرزاق من يعملون بها، وتتحسن أوضاعهم المعاشية، وتتطور بنية مجتمعهم.

وبمثل ذلك بيّن ابن خلدون قيمة العمل والكسب وأنواعه وأوجهه في بقية الفصول.

ب . الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر:

يقول ماكس فيبر إنّ السوسيولوجيا قبل كل شيء هي: " الفعل الاجتماعي القائم على الفهم... ويعتبر أنّ المجتمع نتاج لعمل الأفراد الذين يتصرفون تبعاً للقيم والدوافع والحسابات العقلانية، إنّ توضيح الاجتماعي يعني إذن، التبعية إلى الطريقة التي يوجه بحسبها الناس فعلهم "(كابان، 2013، 48)، وورد في توضيح آخر لمعنى الفعل الاجتماعي: " يتخذ الفعل الاجتماعي معنىً ذاتياً وغرضياً، ومن هنا، فقد انتقل ماكس فيبر بعلم الاجتماع من عالم الأشياء الموضوعية إلى الأفعال الإنسانية، أي انتقل من الموضوع إلى الذات، أو من الشـــيء إلى الإنســـان" (فياض،2021، 338)، يؤدي الفاعل عمله، وهو يحمل في ذهنه فكرة ما عن الغاية من هذا العمل، ومن يستفيد منه، هذه الفكرة عن العمل، تؤسس لعلاقة الفرد بالمجتمع، فمن الطبيعي أن يحمل الإنسان في ذاته نزعة أنانية يحاول إرضاءها من خلال الحصول على كسب رضى المجتمع عن عمله، لكن المجتمع يضع معاييره الخاصة لتقييم الأعمال، ومنه، فإنّ العلاقة بين ناتج العمل وجودته من جهة، وبين المجتمع من جهة ثانية، هي التي تشكل أساس العلاقات الاجتماعية، وأساس تطور المجتمع.

والآن، سوف يتم توضيح معنى الفعل عند ماكس فيبر، وماذا يقصد بالفهم، وكيف يتم الوصول إلى الفعالية الاجتماعية.

١. الفعل عند ماكس فيبر:

أورد نيقولا تيماشيف (Tamashif Nekola) في مجرى تفسير رؤية ماكس فيبر للفعل، فقال: " نظر فيبر إلى الفعل (Action) بأنه سلوك إنساني، ظاهر أو مستتر، يمنحه الفرد الفاعل معنى ذاتياً، فالسلوك الذي يخلو من المعنى الذاتي لا ينتمي إلى الدراسة السوسيولوجية المتعمقة" (تيماشيف، 1978، 262)، نرى في ذلك أن الفعل يأخذ معناه من مرتسمه في العقل قبل أن يصبح سلوكاً. ويقول المفكر الفرنســـي (رينيه هونغ) (Rinah Honk) في محاوراته مع المفكر الياباني (إيكيدا ديزاكو)(Ekeda Dezako) في معرض تعريفه للعمل: " إن كلمة عمل تنطوي على الحركية في الزمان، وإن الزمان يتطلب التعاون والتفاهم، والاتجاه نحو غاية مشـــتركة، نحو الغاية النهائية"(هونغ، و، ديزاكو، 1995، 253)، وهذا يعني أنّ عدم الثبات في المكان، أو اســـتمرار الفعل في الزمان، هما سلوك يقوم به الفرد نحو تحقيق غايته، الأمر الذي يتطلب الوعي المستمر للمحافظة على الاتجاه المحدد، والوعي هنا فعل العقل القادر على الاختيار، لأنّه من الممكن أن يوجد، دوماً، خياراً آخر، يتم من خلاله الوصول إلى الهدف، أو تحقيق رغبة الفرد الآخر، هو المستفيد من الفعل. وهذا جوهر السوسيولوجيا عند ماكس فيبر، حيث عرفها، بقوله:" إن ما ندعوه سوسيولوجيا، هو علم مهمته الاستيعاب (الفهم)، عن طريق تأويل النشاط الجماعي" (كابان، 2013، 48)، إنّ الفهم نشاط عقلي ينعكس تصرفاً، سلوكاً، يقوم به (الفاعل) أو (الفاعلون)، يتعلق بشكل أو بآخر بوعي الفرد، وهذه الذاتية للفهم، ليست إلاّ " المعنى الذي يقصده الفرد ليتوافق مع عقول الآخرين. ووظيفة الباحث، فهم هذا المعنى، وجعله معقولاً"(بريك، 1992، 93)، وليصـــبح معقولاً، يجب توجيهه بحسب متطلبات ومصلحة وأهداف تتوافق مع فهم الآخر (الآخرين) ورغباتهم، وفي ذات المعنى ورد تعريف للسوسيولوجيا، بأنها" العلم الذي يعني بفهم الفعل أو النشاط الاجتماعي، وتأويله، ثم التفسير السببي لمساره ونتائجه" (برتيلو، 1999، 44)، وبهذا وضع ماكس فيبر الأساس لمنهجه في علم الاجتماع، وأسماه "علم الاجتماع القائم على الفهم"، وعدّه أساس العلاقات الاجتماعية التي ستبنى وفقه، مثلاً: (إن العمل الذاتي الذي يقوم به الحرفي، يجب أن يتوافق مع متطلبات صاحب العمل، فعندما يقوم النجار

بقص الخشب لصناعة الباب، فإن ذلك يتم بحسب ما يطلبه صاحب الباب)، وبهذا المعنى، يصبح العمل جماعياً، ومتبادلاً، الأمر الذي يتطلب فهم المطلوب واستيعابه، ثم التصرف وفقه. لكن ليست كل الأعمال حرفية، فللحرفيين أعمالهم، وللمعلمين أفكارهم، وللسياسيين مبادئهم، وللاقتصاديين مناهجهم، وكلهم يؤدون أعمالاً جسمية أو ذهنية، تنتج تبادلاً يعبر عنه: بالفعل الاجتماعي العام، وقد صنفه ماكس فيبر في أربعة أنواع:

" . الفعل التقليدي الذي يتعلق بالأعراف، أو بالمجال الروتيني، أو بالمعايير الحضارية.

. الفعل الوجداني الذي يتوجه عن طريق الأهواء (الانفعال . الحب . الغضب...)

. الفعل العقلي، ويقسم إلى قسمين:

آ ـ الفعل العقلي الذي يتطلب المواءمة بين الغاية والوسيلة، مثل نشاط شخص الاستراتيجي، أو العالم، أو المقاول، الذين يحضرون وسائلهم أفضل تحضير للوصول إلى الهدف.

ب ــ الفعل العقلاني الموجه بالقيم (الشرف ــ العدالة ــ الكرامة) حيث يدافع الفرد عن مثله، دون أن يسعى بالضرورة إلى جدوى مقابلة. ويمكن للفعل الواحد أن يكشف عن أهداف متعددة من المنطق في آن معاً، ولا يمكن أبداً فصل الحصة المنسوبة لكل فعل من هذه الأفعال" (كابان، سابق، 374). إنّ الفعلين، العقلاني والمنطقي، متولدان من سيطرة عقل الإنسان على العالم المادي، ويشكلان وحدة الفعل، فهناك إذن " اتحاد وثيق بين عالم المادة الذي هو تطبيق هذا الاتحاد وعالم الفكر الذي هو فهمه" (رينيه، سابق، 253)، ولتسهيل ذلك، يمكن القول: بين أيدينا مادة خام، يطلب تطويعها حسب رغبة المستفيد منها، صاحب الحاجة، وهنا يتم التفكير بالشكل النهائي المطوب، وبالأدوات التي يجب استخدامها، وبالزمن المستغرق للإنجاز، وبالمكان الملائم للعمل، والتوجه دائماً لإرضاء صاحب الحاجة. وهذا ما يمكن أن يعبر عنه بالفهم، أو الاستيعاب.

فما هو الفهم حسب ماكس فيبر؟

٢ً . الفهم:

يعدّ الفهم: "بأنه المفهوم الثاني في السوسيولوجيا عند ماكس فيبر، ويقصد به فهم الفعل الاجتماعي، أي الإدراك بداهة معنى فعل، أو علاقة ما، فللفعل الإنساني، في رأيه، قيمة تبعاً لمعنى، وهذا المعنى ليس إلاّ المعنى الذاتي الذي يتطابق مع ذلك المعنى السائد في عقول الآخرين" (بريك، سابق، 93)، ويأخذ الفعل معناه الاجتماعي، حين يطرح الفاعل على ذاته أسئلة، ويبحث في الإجابة عنها، مثل:(ماذا نفعل؟ ـ لمن نفعل؟ ـ لماذا نفعل؟ ـ بماذا نفعل؟ ـ ...) وللإجابة عن هذه التساؤلات يتم البحث دائماً عن الأفضل، وهذا يتطلب تحديد المنهج، والتطوير الدائم لطرقه ولأدواته، ثم البحث عن التقنيات المناسبة وتطويرها، ما يؤدي إلى التطوير الدائم للمجتمع في مختلف المجالات موضوع الفعل.

حاول جون سكوت (Scot June) توضيح وجهة نظر ماكس فيبر، فقال:" زعم فيبر أن السعي إلى فهم الفعل الاجتماعي يدفع عالم الاجتماع إلى السمو على فوضوية الحياة، حتى يمكّنه من تبين الأنماط التكرارية لسلوكيات الأفراد خلال مواقف بعينها، فإذا تصرف الفرد بعقلانية خلال موقف معين، فمن المحتمل أن يتصرف بالطريقة نفسها التي تولد تماثلات واستمراريات، ومن الممكن التنبؤ بالسلوك" (سكوت، 2009، 295)، ويفهم من ذلك أن تصرف الفرد، أو، الجماعة، يتم وفق نمطية محددة في الظروف المتماثلة، وتسمى عادة، هذه العادة تمكّن من التنبؤ بالسلوك الذي يقوم به الفرد أو الجماعة، وبالتالي يصبح من الممكن توجيهها.

وعلى هذا الأساس صنف فيبر الفهم إلى:

" . فهم عياني مباشر لمعنى فعل ما، مثل معنى الغضب.

ـ فهم تفسيري غير مباشر، حيث نُدخل بواعث الأفعال في إدراك المعنى"(السابق)، وبذلك يصبح السبب الذي أدى إلى الفعل جزءاً منه وأساساً لفهمه، وأنّه من الممكن أن يتم الانتقال من الفهم المباشر إلى الفهم غير المباشر والعكس.

٣ً . الفعالية الاجتماعية عند ماكس فيبر:

هدف ماكس فيبر من خلال منهجه القائم على الفهم إلى زيادة الفعالية الاجتماعية، التي عبّر عنها بأنها: "سلوك بشري من حيث أنّ (الفاعل) أو (الفاعلين) يخلعون عليه معنى ذاتياً (...) أي بحسب المعنى المتطلع إليه في سلوك الآخر، من أجل التوجه نحوه تبعاً لذلك"(فروند، سابق، 97)، إنّ التطلع إلى سلوك الآخر، وملاحظة ردود فعله، يتطلب الوعي ثم الفهم، ثم التحليل، ثم القيام بسلوك ملائم، ما ينتج عنه بداية نشوء العلاقات الاجتماعية، التي تتطور باستمرار. وهنا تتشكل الواقعة الأولى، التي هي الفرصة المتاحة، وقد أوضح جوليان فروند مفهوم الفرصة المتاحة، بقوله:" إنها تدل على الطابع الاحتمالي لكل إنشاء في علم الاجتماع، وهو طابع لا يمكن لعلم الاجتماع أن يتجاوزه"(فروند، 1977، 110). وبالتالي يمكن القول: إنّ الفعالية الاجتماعية تشكل أصل العلاقات الاجتماعية ذات المعنى، وتبعاً لها يوجه الأفراد سلوكهم نحو بعضهم بعض، أي يتم التبادل، فمن دون حدٍ أدنى من التبادل لا يمكن القول إ نّ الفعل الذي يقوم به فرد أو مجموعة أنتج علاقة اجتماعية، فالفرد المنعزل، أينما كان تواجده، لا يقوم بعمل له معنى اجتماعياً.

حدد فيبر أربعة أنماط أساسية للفعالية الاجتماعية، هي:

". الفعالية الاجتماعية التي تفترض وجود أنظمة قررها الأعضاء.

ـــ الفعالية بالتفاهم: ويفترض أنها لا تقوم على أساس قانوني، وبالتالي لا تقوم على أي نوع من الاتفاق والاصطلاح والنظام، ولكن المشاركين يحترمونها.

. فعالية المؤسسات: وتنطوي على نظام ممنوح عموماً، أي أنظمة صريحة.

. فعالية التجمع: ويتعلق الأمر ببيئة ينتمي الفرد إليها دون إلزام" (فروند، 1977، 114 وما بعد).

يفهم من ذلك، بأنّ مجموعة لديها وعيٌ كافٍ لمصلحتها المشتركة، ستتحرك بشكل طبيعي بهدف تحقيق هذه المصلحة، وفي ذلك عمل جماعي لتحقيق مصلحة مشتركة تشكل الغاية، وقد ورد في المعجم النقدي لـ (آرون، و، بوريكو،) (Aron & Boroko) ما يبيّن أهمية هذا التحرك بأنّ " الوصول إلى الفعل الجماعي يمر عبر المتتالية: مصلحة عامة ـــ وعي المصلحة العامة ـــ الفعل الجماعي، وهي متتالية أكيدة، لأنّ الفوائد المحتملة لفعل جماعي سيكسبها كل فردٍ سواء شارك أم لم يشارك" (آرون، و، بوريكو، 1986، 429)، ومنه، فإن الفعالية الاجتماعية عملٌ مستمرٌ، يقوم به الفاعل (الفاعلون)، ويتم من خلاله تطوير العلاقات الاجتماعية، وتحسين طرق الإنتاج ووسائله، كما يتم فيه مزج نشاط كافة المكونات الاجتماعية المشاركة.

ج . مقارنة بين مفهوم العمل وأنواعه عند ابن خلدون، ومفهومه وأنواعه عند ماكس فيبر:

بعد الاستعراض السريع لمفهوم العمل لدى كل من ابن خلدون وماكس فيبر، أصبح من الممكن توضيح التباينات التالية:

– نظر ابن خلدون إلى العمل بأنه وسيلة للمعاش، بمعنى الحياة، وهي نظرة واقعية، بينما عدّه ماكس فيبر بأنه وسيلة لنشوء العلاقات الاجتماعية وتطورها، وهذا، حسب رأيه، جوهر علم الاجتماع.

. استخدام كلٌ منهما المفردات السائدة في عصره، فأكثر ابن خلدون من المفردات المستخدمة في البوادي والأرياف (الفلاحة . الزرع . الأنعام . النحل . الحرير . المعاش . الصنائع . التعليم ...). بينما كانت المفردات التي استخدمها ماكس فيبر فلسفية متنوعة، تساير مفردات عصره (الفعل . الفاعل . الفاعلون . الفعل الاجتماعي . الفهم . الآخر . العقلي . الوجداني...).

ـ رأى ابن خلدون أنّ العمل هو الكسب، ويمكن عدّه ربحاً، وأن القيمة الاجتماعية للعمل هي مقدار الحاجة إلى خلاصته، أما قيمته المادية، فبقدر ما يبذل فيه من الجهد، والزيادة منه تتحول إلى ادخار واقتناء. بينما جنح ماكس فيبر نحو الفلسفة، محاولاً أن يصيغ نظريةً تتموضع بين النظريات الاجتماعية السائدة في عصره والهادفة إلى إبراز أهمية العلاقة بين العمل والفهم، والمؤدية إلى تطوير المناهج والطرق والأدوات.

– عدد ابن خلدون أنواع الأعمال الحرفية والصناعية والعلمية التي يمكن أن يؤديها الفرد، أو الجماعة. بينما اتجه ماكس فيبر إلى تصنيفها من الناحية العقلية، وقد يكون لاختلاف المجال الزماني والمكاني أثرهما في اختلاف هذه الرؤية بينهما، وهذا التباين طبيعي، عبّر ابن خلدون عن ذلك بقوله: " ومن الغلط الخفي في التاريخ، الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأحوال ومرور الأيام" (ابن خلدون، د. ت، 28).

– نظر ابن خلدون إلى العلاقة المتبادلة بين العمل والطبيعة، نظرة تبادل عطاء ومنفعة، يقدم فيها الإنسان العمل، فترد الطبيعة بالخيرات، بينما بقي ماكس فيبر ضمن المجتمع، يبحث في الفعالية الاجتماعية وكيفية تطويرها وصولاً لجودة الأعمال وكمالها.

ـ ظل ابن خلدون مستنداً إلى ثقافته الدينية، بينما راح ماكس فيبر ينتقد الأديان باحثاً عن المرتكزات الإيجابية التي تتضمنها.

ـ عدّ ابن خلدون أنّ العمل اجتماعي بطبيعته، بينما قال ماكس فيبر إنّ الفعل الاجتماعي المبني على أساس الفهم لمتطلبات الآخر هو ما يحقق اجتماعية الفعل، ويؤدي إلى تطور المجتمعات.

5. تأثير كل منهما بالفكر الاجتماعي في بيئته:

آ. أثر ابن خلدون في الفكر العربي:

ظهر تأثر المفكرين العرب بفكر ابن خلدون واضحاً، وأخذ هذا التأثر ثلاثة أشكال: إما اقتباساً، وإما دراسات وأبحاث قدمت في الرسائل العلمية والمؤتمرات الثقافية، وإما كتب بحثية، وسنلقي الضوء على نماذج منها:

– الاقتباسات: أخذ بعضهم من أفكاره نقلاً أو استشهاداً، ونسب بعضهم ما قاله ابن خلدون لنفسه، وللدلالة على ذلك سوف نكتفي بما كتبه ثلاثة من أعلام الفكر الاجتماعي العربي.

كتب ابن خلدون في مقدمة الباب الأول من الكتاب الأول، مفصلاً في ثلاث مسائل حول ضرورة الاجتماع البشري، فقال في الأولى:(" في أنّ الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبّر الحكماء عن ذلك بقولهم: الإنسان مدني بالطبع، أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدنية..." وقال في الثانية عن المعاونة: " إلاّ أنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته، من ذلك الغذاء، غير مؤفية له بمادة حياته منه ..."، والثالثة في الدفاع عن نفسه، فقال: "وكذلك يحتاج كل واحد منهم إلى الدفاع عن نفسه بأبناء جنسه، لأنّ الله سبحانه لما ركّب الطباع في الحيوانات كلها، وقسم القدر بينها، جعل كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظ الإنسان..." (ابن خلدون، د. ت، 42).

وبمثل ذلك كتب نقولا حداد (Hdad Nekola) في كتابة حياة الهيئة الاجتماعية، فقال: "مهما قنع الإنسان ببسيط الحياة (...) ورضي بشظف العيش حتى يستغني عن الناس، فلا يلبث أن يجد نفسه محتاجاً إلى ثلاثة على الأقل:

ـ معاون على رد الغازي.

ـ ومؤنس في حالة الوحشة.

ـ ومعين في حالة العجز من مرض أو شيخوخة." (حداد، 1982، 14).

ونقرأ الاستشهادين السابقين، ونلاحظ أنهما متوافقين إلى درجة التطابق، ومع الأخذ بالفارق الزمني بين كل من ابن خلدون ونقولا حداد، يتبين تأثر الثاني بفكر الأول.

ومثل هذا نقرأه في الاستشهادين التاليين، قال ابن خلدون: " واعلم أنّه إذا فقدت الأعمال أو قلت بانتقاص العمران، تأذّن الله برفع الكسب، ألا ترى إلى الأمصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها، أو يُفقد لقلة الأعمال الإنسانية، ومن هذا الباب تقول العامة في البلاد إذا تناقص عمرانها أنها قد ذهب رزقها، حتى أنّ الأنهار والعيون ينقطع جريانها في القفر، لما أنّ فور العيون يكون في الإنباط والامتراء الذي هو بالعمل الإنساني" (ابن خلدون، د. ت، 382).

يقول الأستاذ الدكتور عادل العوا (Al Aww Adel) في كتابه (العمدة في فلسفة القيم)، والدكتور العوا من كبار العاملين في مجال الفلسفة والاجتماع، تأليفاً وترجمة وتدريساً: " وصمن النادر أن تتم الإفادة من جلّ الخيرات إلاّ نتيجة عمل وصناعة ونقل وتدبير وصيانة وإدارة وتوزيع، وإذا انقطع العمل الإنساني عادت الطبيعة للاستيلاء على الأرض، ولا يبقى في وسعها أن تغذي معشار معشار سكانها، وإذ ذاك ترجع الأرض بيداء أو غابة..."(العوا، 1986، 482).

ويقول الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي (Al Yafe Abd Al Kareem)، والدكتور اليافي غني عن التعريف، في هذا المجال: "ومن الطبيعي أن السهول الخصيبة الممرعة قد بكر انتجاعها واستيطانها، وأنّ المدن والقرى كثيراً ما تقوم على مقربة من الأنهار والجداول، وأنّ طيب الإقليم واعتدال المناخ وخصوبة المكان من دواعي زيادة الناس ... وحين استسلم سكان البلاد المعتدلة للكسل فأهملت التربة، وشحت المياه، وحلّ الجدب والفقر محل الخصب والثراء.."(اليافي، 1985، 19). فإذا أخذنا ما قاله ابن خلدون، ثم ما أورده كلّ من الدكتور عادل العوا والدكتور عبد الكريم اليافي، نرى تشابهاً إلى حدٍ بعيد، ما يؤكد تأثرهما بالفكر الخلدوني، ومثل ذلك كثير.

– قدمت المئات من الدراسات والرسائل في الجامعات والمؤتمرات، بحيث لا يمكن الإحاطة بها، وقد تمّ إدراج نماذج منها في هذا البحث.

. ألف المفكرون العرب كثيراً من الكتب حول مقدمة ابن خلدون وأفكاره، منها:

. عبد الرزاق الجلبي، العمليات والنظم الاجتماعية في فكر ابن خلدون، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب 2000.

. عبد المجيد مزيان، النظرية الاقتصادية عند ابن خلدون، وأسسها في الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي، الجزائر، د، ت.

. عبد الحليم عويس، التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، بيروت 2008.

. عبد السلام بلاجي، المالية عند الماوردي وابن خلدون، مقارنة واستنتاجات، مصر 2000.

. فؤاد عبد المنعم أحمد، ابن خلدون ورسالته إلى القضاة، الرياض1998.

– محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية ابن خلدون في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.

. محمد الطالبي، منهجية ابن خلدون التاريخية، بيروت، دار الحداثة 1981.

. محمد عبد الرحمن مرحبا، جديد في مقدمة ابن خلدون، بيروت، 1982.

. ملحم مزيان، خلدونيات، قوانين خلدونية، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، بيروت 1984.

وغيرها كثير...

ومن الكتب الأجنبية عن ابن خلدون:

ـ جوستون بوتول (Botol Joston)، ابن خلدون، فلسفته الاجتماعية، ترجمة غنيم عبدون، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة، والطباعة والنشر، دون تاريخ.

ب . تأثير ماكس فيبر في بيئته:

أثرت أفكار ماكس فيبر في الفكر الاجتماعي في أوروبا وأمريكا، وفي الفكر الاجتماعي العربي، حيث ترجمت بعض كتبه، كما كتب عنه بعض المفكرين العرب، ومن الكتب التي بين أيدينا:

. إكرام عدنني، سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر، بيروت 2013.

. جوليان فروند، علم الاجتماع عند ماكس فيبر، ت، تيسير شيخ الأرض، وزارة الثقافة، دمشق،1977.

. علي ليله، ماكس فيبر والبحث المضاد في أصل الرأسمالية المعاصرة، القاهرة 2004.

. ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ت، محمد علي مقلد، بيروت، د. ت. ن.

. ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ت، محمد عثمان، بيروت 2009.

- ورصد الدكتور يوسف بريك في كتابه الجامعي بعنوان، مناهج في علم الاجتماع، ستة مؤلفات تتعلق بعلم الاجتماع القائم على الفهم، باللغتين الألمانية والفرنسية.

تاسعاً . النتائج والمقترحات:

1. النتائج:

بعد استعراض نشأة وثقافة ومؤلفات ورؤية كل من ابن خلدون، وماكس فيبر، أصبح من الممكن صياغة النتائج التي تم التوصل إليها، وهي:

- النتيجة الأولى: تأثر كل منهما بالبيئة الاجتماعية التي عاش فيها، وصاغ أفكاره من أجلها، فكانت المقدمة تحاكي المجتمع العربي في مجالات مختلفة، وخصّ منها باباً لكسب الرزق وأنواعه، أما ماكس فيبر فخاطب الفكر الاجتماعي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية الناهضة، وأسهم في بناء هذا الفكر من خلال رؤية خاصة به. وانعكس ذلك على طبيعة العلاقات ضمن تلك المجتمعات.

ـ النتيجة الثانية: استفاد كل منهما من ثقافته الموسوعية، ومعرفته للتاريخ، وقراءته للفلسفة، والاطلاع على مجالات العلوم، والأفكار الدينية واللاهوتية، ما مكنهما من صياغة أفكارهما وتدوينها بسهولة ووضوح. وأصبحا رائدين يقتدى بهما.

– النتيجة الثالثة: كانت رحلتا ابن خلدون إلى المشرق والأندلس، للبحث وزيادة المعرفة والتأكد من صحة ما قرأه عن تلك المجتمعات، فأغنى ما كتبه من قبل" فزدت ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الديار، ودول الترك فيما ملكوه من الأقطار، وأتبعت بها ما كتبته في تلك الأسفار..."(ابن خلدون، د. ت، 525)، بينما كانت رحلة ماكس فيبر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتدريس في جامعاتها، ومناقشة علماءها، ما أسهم في نشر أفكاره بسرعة أكبر.

– النتيجة الرابعة: أسهمت المطابع في نشر أفكار ومؤلفات ماكس فيبر في الوسطين الثقافي والعلمي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، كما أسهمت الترجمة في نشرها بين المفكرين العرب، بينما كان التدوين سائداً في عصر ابن خلدون، ولا يمكن أن يسهم التدوين إسهام المطابع في نشر الأفكار، كما تأخرت ترجمة ابن خلدون إلى اللغات الأخرى لما يزيد عن ثلاثة قرون.

– النتيجة الخامسة: تأخر تأثير ابن خلدون في الفكر الاجتماعي، لتأخر ترجمة المقدمة إلى اللغات الأوروبية، وتأخر تداولها فكرياً وعلمياً حتى عصر النهضة، وبالرغم من ذلك أثّرت في هذا الفكر، حيث استفاد منها كبار علماء الاجتماع الغربيين وانتشرت بالتوازي مع هذا الفكر. بينما كانت أفكار ماكس فيبر، كما أفكار غيره، متداولة في الجامعات، وبين المفكرين، في حينه، وتناقش بين مؤيد ومنتقد ومعارض.

– النتيجة السادسة: ربط ابن خلدون العمل، بمعنى الكسب، بالحياة، عندما قال: طرق الكسب والمعاش، وعدّه واجباً اجتماعياً على كل قادرٍ، وأنّه أمر طبيعي في الحياة الاجتماعية. بينما عدّ ماكس فيبر أنّ السوسيولوجيا هي الفعل الاجتماعي القائم على الفهم، وقال إنها أساس العلاقات الاجتماعية، وبالتالي أساس تطور المجتمعات، وهنا يوجد تباين بين الحياة، بمعنى العيش الذي هو الواقع، وبين التطور الاجتماعي الذي هو المستقبل.

– النتيجة السابعة: نظر كل منهما إلى العمل بأنّه فعلٌ جماعي، قال ابن خلدون إنه (الفعل الإنساني)، وإنّ الأفعال الإنسانية تساهم في الإكثار من العمران والرفاهية، بينما قال ماكس فيبر بالفعل الاجتماعي القائم على الفهم، فإذا نظرنا إلى الأسبقية، نراها لصالح ابن خلدون. ما يمكّن من القول إنّ ماكس فيبر تأثر بابن خلدون.

– النتيجة الثامنة: صنّف ابن خلدون العمل بما يتلاءم مع الواقع الاجتماعي في عصره، فلاحة، صناعة، تجارة، وعدد أنواع الأعمال الحرفية وأوجهها، بينما قام ماكس فيبر بتصنيف العمل، كسلوك إنساني، وقال بوجود أربعة أنماط للفعالية الاجتماعية، متلائمة مع تنضيد المجتمعات الحديثة. (كما سبق).

– النتيجة التاسعة: تأثر ابن خلدون بتربيته الدينية بشكل واضح، وظلّ ملتزماً بها، مستشهداً بآيات القرآن الكريم، وبالأحاديث النبوية، وسيرة الخلفاء، وقال في عنوان الفصل الخامس من الباب الثالث من الكتاب الأول: "في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها"(ابن خلدون، د. ت، 158). بينما يقارب ماكس فيبر علم الاجتماع الديني "بمفهوم الألوهية الذي يبدو له أساسياً، أكثر من مفهوم الله الواحد" (فروند، 117، 175) ولذلك كانت قراءته للأديان، قراءة نقدية يتلمس منها ما يفيد المجتمع، كما في مؤلفه (الأخلاق البروتستانتية).

2 . المقترحات:

تكمن صعوبة تقديم المقترحات في عدة أسباب، منها:

أولاً: لتعدد المجالات وغنى الأفكار التي تعرض لها كل من ابن خلدون وماكس فيبر.

ثانياً: لتعلق البحث بالقضايا الفكرية والاجتماعية، وهي مجال تصعب الإحاطة به.

ثالثاً: بسبب ما حصل من تغيّر المناهج، والتعديل الكبير الذي طرأ على الأنساق التعليمية، ففي مرحلتنا المعاصرة تراجع دور الآداب والعلوم الإنسانية أمام تقدم الاختصاصات الطبية والهندسية والعلمية من جهة، وتطور التقنيات والبرمجيات من جهة ثانية.

ولذلك ستكون الاقتراحات مستمدة من:

. أولاً: العناوين الفكرية التي تناولها البحث.

. ثانياً: النتائج التي تمّ التوصل إليها.

ثالثاً: الأخذ بالحسبان التطورات العلمية والتقنية التي شملت المجالات كافة، وضرورة تكييف وتطوير ما قاله كل من ابن خلدون وماكس فيبر، مع تطورات العصر الراهن.

وبناءً على ذلك يُقترح:

1 ـ أن يركز في المعاهد الحرفية والتعليمية التخصصية، على أهمية القيمة التي تستحقها آراء ابن خلدون وأفكاره بما يتعلق في كل اختصاص، مثلاً: ما قاله في الفلاحة والصناعة والتجارة والحياكة والنجارة والتمريض والكتابة...إلخ.

2– التأكيد في المناهج العلمية والأدبية على أن العمل واجب اجتماعي وأخلاقي، ومرتبط بالعيش بمعنى الحياة.

3 –التأكيد في المؤســـســـــات المختلفة على وعي ما قاله ماكس فيبر، بوجوب فهم الفعل الاجتماعي قبل القيام به، ومعرفة الغاية الاجتماعية منه، وربط الفعل بالفهم (الاستيعاب)، وذلك بطرح التساؤلات: (ماذا نعمل؟ ــ لمن نعمل؟ ــ لماذا نعمل؟ ــ متى نعمل؟ كيف نعمل...).

4 –اعتبار أن الأعمال بمجملها اجتماعية، أو إنسانية، ولذلك يجب السعي لتكون مفيدة، وتلبي الحاجات.

5–التأكيد في المناهج المدرسية على أن العمل بمجمله سلوك إنساني يجب تطويره. ولا معنى لفعل لا يحمل فكرة تطويرية.

6 – التوجه إلى أصـحاب القرار في المؤسـسـات التعليمية بالتوجيه إلى ضـرورة إجراء مقارنات بين ابن خلدون، وبين بقية العلماء والمفكرين في مختلف المجالات البحثية، السياسية والاقتصادية والعلمية والتاريخية والعملية، كما في مجال الآداب والعلوم الإنسانية، ليأخذ ابن خلدون حقه، ويتم التأسيس لمدرسة خلدونية معاصرة.

7 –التأكيد المنهجي على مقولة ابن خلدون بأن تراكم رأس المال هو تراكم العمل، وأن قيمة المادة مقدار ما يبذل فيها من العمل.

8 – التأكيد على تشـــكيل مجموعات بحثية منهجية قادرة على صـــياغة أفكار كل من ابن خلدون وماكس فيبر، وتطويرها بهدف استثمارها لتلبية احتياجات المجتمع، وتطوير الواقع العربي الراهن.

المراجع:

1 . المعاجم والمصادر:

١) ابن خلدون، محمد عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون في العمران البشري، دمشق د، ت.

٢) (بوردون، ريمون، و، بوريكو، فرانسوا، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ت ، حداد، سليم، 1986.

٣) المعجم الفلسفي المختصر، ت، سلوم، توفيق، موسكو، 1986.

2 . الكتب:

١) المقداد، محمود، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، العدد ١٦٧، الكويت ١٩٩٢.

٢) باشور، غاستون، تاريخ السوسيولوجيا، ت، حقي، ممدوح، منشورات عويدات، لبنان ١٦٨٤.

٣) برتيلو، جان ميشيل، بناء علم الاجتماع، ت، الحداد، جورجيت، بيروت ١٩٩٩.

٤) بريك، يوسف، مناهج البحث في علم الاجتماع، دمشق، ١٩٩٢.

٥) تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها، وتطورها، ت، عودة، محمود، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨.

٦) حداد، نقولا: علم الاجتماع، حياة الهيئة الاجتماعية، الكتاب الأول، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢.

٧) دورتيه، وكابان، علم الاجتماع، ت، حسن، إياد، دمشق 2013 .

٨) سكوت، جون، علم الاجتماع . المفاهيم الأساسية، ت، محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ٢٠٠٩.

٩) العوا، عادل، العمدة في فلسفة القيم، دمشق ١٩٨٦.

١٠) فروند، جوليان، علم الاجتماع عند ماكس فيبر، ت، شيخ الأرض، تيسير، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٧.

١١) فياض، حسام الدين، المدخل إلى علم الاجتماع، من التأصيل إلى التأسيس، إسطنبول، ٢٠٢١.

١٢) هونغ، رينيه، و، ديزاكو، إيكيدا، شرق – غرب، ت، عصفور، عيسى، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥.

١٣) اليافي، عبد الكريم، علم السكان، جامعة دمشق، ١٩٨٥.

3. المواقع الالكترونية:

١) دراسة نشرت على الموقع (Hott://repository.naiah//wwwgoogal.com.l/5/2018

٢) موقع: مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية . العدد الرابع عشر . شباط file:///:/user/hp/desktop/2023

٣) دراسة نشرت على الموقع: بويلي سكينة . 2015 file:///:/user/hp/desktop/ بتاريخ 26 أكتوبر 2022.

٤) دراسة نشرت على الموقع: https://www.socioclub.net/2021/07/PDF321.html بتاريخ تموز 2021 .

٥) موقع مركز نهوض للدراسات والبحوث، file:///C:/Users/HP/Desktop/، 2020

٦) دراسة نشرت على الموقع: https://e3arabi.com/sociology بتاريخ 19 فبراير 2019.

٧) ويكبيديا، https://ar.wikipedia.org/wiki/ ، أخذ بتاريخ ٢٠١٨/٤/٢٢، بتصرف.